

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ١٣ ) : الحديث الشريف : إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ  
الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-١١

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

### بطولة الإنسان أن يعيش حياته وفق منهج الله :

أيها الأخوة الكرام ؛ قبل أن أبدأ  
بالأحاديث الشريفة التي هي موضوع هذا  
اللقاء الطيب هناك ومضة من وحي  
الحوادث الأليمة التي تمر ببعض البلاد  
العربية والإسلامية .



رجل يطوف حول الكعبة يدعو بصوت  
جهوري ، يقول : ربي اغفر لي ذنبي ،  
ولا أظنك تفعل ، وراءه رجل سمع الدعاء  
، قال له : ما هذا الدعاء ؟ قال له :

ذنبي عظيم ، قال له : ما ذنبك ؟ فقال : كنت جندياً في قمع فتنة ، فلما قمعت أبيحت لنا المدينة ،  
أي افعلوا ما تشاؤون بعد الانتصار ، فدخلت بيتاً فرأيت فيه رجلاً ، وامرأة ، وولدين ، فقتلت الرجل  
وقلت لامرأته : أعطني كل ما عندك ، أعطته كل ما عندها ، فقتل ولدها الأول ، فلما رأته جاداً في  
قتل الثاني أعطته درعاً مذهبة - أثنى شيء عندها - أخذ الدرع وأعجبه لأنه مذهب ، أي مطلي  
بالذهب ، لكنه نظر إلى هذا الدرع فإذا به يرى بيتين من الشعر مكتوبين عليه ، قرأ البيتين فوقع  
مغشياً عليه ، البيتان :

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

\*\*\*

أخواننا الكرام ؛ يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً ، والبطولة أن تعيش حياة وفق منهج الله ، أن تكون محسناً ، لأن هناك يوماً آخر في هذا اليوم تسوى الحسابات .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

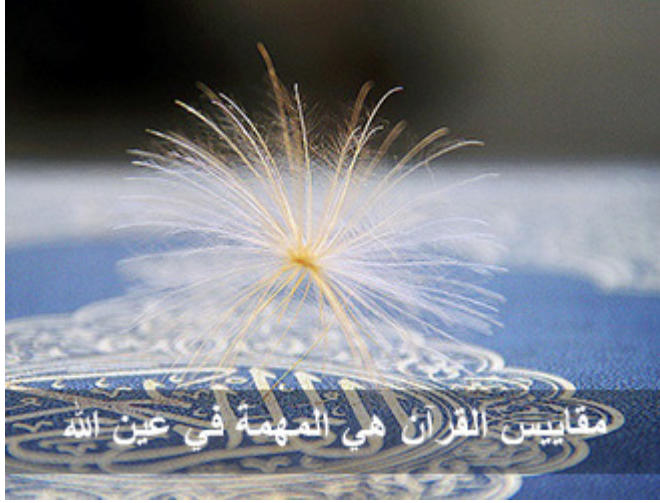
[سورة الحجر الآية : ٩٢ . ٩٣]

## على الإنسان أن يقيس نفسه بمقاييس القرآن :

أخواننا الكرام ؛ ورد في صحيح بخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(( إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]



يقابل ذلك :

(( رب أشعث أغبر ذي طمرين ))

[ أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ]

أشعث أغبر ، ذي طمرين ، قميص وينطال .

(( مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ

لَأَبْرَهُ ))

[ أخرجه مسلم عن أبي هريرة ]

ماذا نستتبط في تقييم الأشخاص ؟ هناك مقاييس ، هناك مقاييس القرآن ، وهناك

مقاييس الناس ، فقد تكون في مقاييس البشر في أعلى درجة ، وقد يكون إنسان آخر في مقاييس الدين في أدنى درجة ، فالبطولة والذكاء والعقل أن تقيس نفسك لا بمقياس الدنيا ، قد تكون ذا منصب رفيع ، هذا مقياس كبير ، لكن البطولة في السلوك ، في الانضباط ، في الإحسان ، في العدل ، فدائماً الإنسان دون أن يشعر يقيس نفسه ، قد يقيس نفسه بمقياس مادي ، يرى نفسه يحتل مكانة عليّة في المجتمع ، ودخله كبير ، وبيته فخم ، وعنده زوجة وأولاد ، وله علاقة اجتماعية كبيرة جداً ، وقد يجد إنساناً فقيراً .

(( رب أشعث أغبر ذي طمرين ، مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ ))

فأنا أتمنى على كل إنسان ما دام في الحياة الدنيا أن يقيس نفسه بمقاييس القرآن ، وألا يقيس نفسه بمقاييس الحياة الدنيا .

الانتماء الشكلي إلى الدين لا يقدم ولا يؤخر :

الآن قال الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٦٢ ]



الانتماء الشكلي للدين لا يقدم ولا يؤخر

أي المسلمون :

﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٦٢ ]

فسرها ما شئت غير هؤلاء ، دقق كأن في الآية معنى مضمرًا ، هم عند الله سواء بمعنى أن الانتماء الشكلي إلى أي دين لا يقدم ولا يؤخر ، بحكم الولادة ، هذا مسلم ، هذا مسيحي ، الانتماء إلى الدين ، الانتماء الشكلي لا يقدم ولا يؤخر :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾

وجوب انضباط العلاقات وفق منهج الله عز وجل :

الآن :

﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٦٢ ]

من هؤلاء ، الإيمان الذي يحمله على طاعته .

﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٦٢ ]

الإيمان الذي يمنعه أن يؤذي مخلوقاً .  
﴿ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٦٢ ]

الآية دقيقة جداً ، القسم الثاني من الآية  
هذه المقاييس الإلهية ، من آمن بالله  
الإيمان الذي ينتج عنه التزام ، هناك  
عطاء وفق منهج الله ، و منع وفق



قيمتك مرتبطة بمدى انضباطك بمنهج الله

منهج الله ، و رضا وفق منهج الله، و غضب وفق منهج الله ، في العطاء والأخذ ، في الرضا  
والغضب ، في الحب والكرهية ، لا بد من أن تكون العلاقات منضبطة بمنهج الله عز وجل ، قال :

﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

آية أخرى :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[ سورة الشعراء الآية : ٨٨ . ٩٠ ]

من أدق ما قاله العلماء في القلب السليم : هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يصدق  
خبراً يتناقض مع وحي الله ، ولا يعبد إلا الله ، ولا يحتكم إلا الله ، من فعل هذا فهو ذو قلب سليم ،  
وهو الناجي يوم القيامة .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

## قصة تُعلم الموقف الكامل من القرآن :

الآن هناك قصة موجزة لكنها بليغة ، وينبغي أن نتعلم منها الموقف الكامل من القرآن ، فقد روي أن  
الأحنف بن قيس كان جالساً يوماً فجال في خاطره قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[ سورة الأنبياء الآية : ١٠ ]

فقال : عليّ بالمصحف ، بالمناسبة المصحف كلمة مثلثة ، معنى مثلثة ، لك أن تقول مُصحف ،  
ومصحف ، ومصحف ، هذا معنى كلمة مثلثة ، فقال : عليّ بالمصحف لألتمس ذكري ، حتى أعلم  
من أنا ومن أشبهه ، وأنا أيضاً أتمنى عليكم ثانية كلما قرأت آية في القرآن دقق ، أين أنا من هذه  
الآية ؟ أين أنا ؟ هل أنا مطبق لها ؟ لذلك حينما قال الله عز وجل يصف المؤمن وعلاقته بالقرآن  
قال :

﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾

[ سورة البقرة الآية : ٢١ ]

العلماء قالوا : حق التلاوة أن تقرأه أولاً وفق قواعد اللغة العربية .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر الآية: ٢٨]



لو قلت : إنما يخشى الله ، المعنى فاسد، يجب أن تقرأ القرآن وفق قواعد اللغة العربية .

ولسيدنا عمر كلمة بليغة يقول فيها : " تعلموا العربية فإنها من الدين " . فالقرآن الكريم بلسان عربي مبين ، فأنت حينما تتعلم هذه اللغة تسهم في فهم هذا الكتاب.

فقال : عليّ بالمصحف لألتبس ذكري ، حتى أعلم من أنا ومن أشبهه ، فمرّ بقوله تعالى:

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية : ١٧]

كل واحد يطبقها على نفسه .

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾

ومرّ بقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٣٤]

ومرّ بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الحشر الآية : ٩]

العبادات الشعائرية لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية :

كلكم يعلم علم اليقين أن الصحابة الكرام حينما هاجروا إلى المدينة وقف الأنصار موقفاً يفوق حدّ الخيال هذا عندي بستنان خذ أحدهما ، عندي دكانان خذ أحدهما ، إلى آخره ، لكن الذي يلفت النظر أن الصحابة الكرام ما أخذوا من الأنصار شيئاً ، والشاهد الدقيق أحد الصحابة حينما أراد من

هو عنده أن يعطيه حانوتاً ، قال له : بارك الله لك بمالك ، لكن دلني على السوق ، بذل يفوق حدّ الخيال وتعفف .

لذلك قالوا : الإيمان عفة عن المطامع ،  
وعفة عن المحارم .

لما وقف سيدنا جعفر أمام النجاشي  
وسأله عن رسول الله قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ،  
نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي  
الفواحش، ونقطع الأرحام ، ونسيء  
الجوار ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا  
نعرف نسبه وصدقته وأمانته وعفافه ))



إن حدثك فهو صادق ، وإن عاملك فهو أمين ، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف ، وفوق ذلك كان ذا نسب .

((... نعرف نسبه وصدقته وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ولنعبده ، ونخلع ما كنا نعبد  
نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا - الآن دخلنا بالعبادة التعاملية - بصدق  
الحديث ، وأداء الأمانة وصللة الرحم ، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

أنا أقول لكم ، والكلام دقيق جداً ، وأراه ضرورياً جداً : العبادات الشعائرية - الصلاة والصوم والحج  
والزكاة والنطق بالشهادة - لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية .



قال بعض العلماء التستري قال : " ترك  
دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد  
حجة الإسلام " ، الصلاة :

كل أنواع الغش يدخل تحت قول الزور

(( لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثُوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ))

[ سنن ابن ماجه عن ثوبان ]

هذه الصلاة ، الصيام :

(( مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

قول الزور أي إذا أنت أوهمت الشاري أن هذه البضاعة مستوردة ، وهي وطنية ، هذا قول زور ، كل أنواع الغش يدخل تحت قول الزور ، ونهانا عن قول الزور .

(( كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))  
هذه العبادة التعاملية .

فيا أيها الأخوة ؛ الإنسان أمام عبادتين ، العبادة الشعائرية لا تقبل ، ولا يستفاد منها ، إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، هذه الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة .

## أربعة أمور على الإنسان مراعاتها عند قراءة القرآن :

الآن يقول الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

[ سورة الشورى الآية : ٣٧ ]

طبعاً هو عالم كبير ، لكن التواضع مطلوب ، قال : اللهم لست أعرف نفسي مع هؤلاء ، أنا لست من هؤلاء ، ثم مرّ بقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[ سورة الصافات الآية : ٦٥ ]

ومرّ في قوله تعالى :

﴿ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ

الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

[ سورة المدثر الآيات : ٤٢ . ٤٦ ]

فقال : اللهم إني أبرأ من هؤلاء ، وأنا أيضاً لست من هؤلاء ، لا من هؤلاء ، ولا من هؤلاء حتى وقع على قوله تعالى :

﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة الآية : ١٠٢ ]

فقال : اللهم أنا من هؤلاء ، أي المطلوب بشكل دقيق إذا قرأت القرآن أن تسأل نفسك مع كل آية أين أنت منها ؟ طبعاً :

﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾

وفق قواعد اللغة ، والأفضل وفق قواعد التجويد أيضاً ، ثم أن تقرأ قراءة صحيحة ، ثم أن تقرأها مجودة أيضاً ، ثم أن تفهم المعنى ، ثم أن تتدبر هذه الآية ، والتدبر أين أنت منها ، أربع مهام لكل آية تقرأها ، أين أنت منها ؟  
أخواننا الكرام ؛ هذا نص دقيق جداً في علاقتك بالقرآن إذا قرأت القرآن .

عظمة الدين أنه دين العقل و الواقع :

آخر شيء :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ﴾

[ سورة يونس الآية : ٦٢ ]

وإن الله بالتراث الإسلامي هناك كلام عن الأولياء لا يعد ولا يحصى ، والجواب الدقيق والعميق : " ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء ، ولا الذي يطير في الهواء ، و لكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام" :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾



[ سورة يونس الآية : ٦٢ . ٦٣ ]

هذه الآية أصل بالموضوع .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

وكل القصص التي تروى في بعض المجالس غير موثقة وفيها تجاوز كبير جداً ، وهناك من يوهم الناس حينما يقول لهم : ختمت القرآن مرتين بليلة واحدة ، هذا غير معقول ! تجد هناك قصصاً



غير معقولة ، لا أكل ، ولا شرب ، ولا صلى ، حتى يلحق ، فكل شيء يمر معك غير معقول هذا الدين دين العقل ، دين الواقع ، وهذا من عظمة الدين .  
لذلك أنا مرة نص عن سيدنا عمر أحجمت عن تلاوته سنوات طويلة : دخل أحد الأشخاص إلى المسجد رآه يصلي في الليل ، قال : يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ قال : إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، معنى هذا أنه لا ينام الليل !؟  
أنت هل تستطيع ألا تنام ليلتين ؟ الدين واقعي ، حتى عثرت بعد حين على رواية هي : إنني إن نمت ليلي كله ، هذه مقبولة ، إنني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي .  
فدائماً الواقع هو الأصل ، والحق ما كان مطابقاً للواقع .  
أرجو الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا جميعاً ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، وأن يعتقنا من النار ، وأن يقبل صيامنا ، وركوعنا ، وسجودنا ، وقيامنا ، وقراءة القرآن .

### والحمد لله رب العالمين